

أثر القرآن الكريم على الصحابة

ومن اقتدى بهم

إعداد

مهدي راسم محمود اسليم

## مقدمة

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم ليكون معجزة خالدة ودليلاً واضحاً على صدق نبوة رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلم- وصدق الأنبياء والمرسلين من قبله، وللقرآن الكريم أثر واضح على كل من شرفه الله بالعمل به قراءةً وحفظاً وتفسيراً وتدبراً، وعلى كل من تعلم القرآن الكريم وعلمه.

ولظهور هذا الأثر الطيب لكتاب الله سبحانه وتعالى لا بد وأن نتعامل مع القرآن الكريم بحِدٍّ وأن نأخذه بقوة، وأن نطبق ما فيه من الأحكام، وأن نتزَيَّن بما فيه من أخلاق، وأن يكون كتاب الله تعالى بالنسبة لنا المرجع الثابت في جميع شؤون الحياة، وأن تتعدى علاقتنا معه مجرد القراءة السطحية أو حفظ عدد من السور والأجزاء مجردة من الفهم والتطبيق، فكلما اقتربنا من القرآن الكريم وكنا من أهله اقترب منا الفرج وكنا أهلاً للنصر وأصبحنا سادة للأمم، فالقرآن الكريم ما نزل لتزيين الرفوف ولا للتسلية عند المصائب فقط، ولا لنلجأ إليه عند الهموم والبلاء فحسب، بل جاء القرآن الكريم ليكون منهاج حياة، وسبيل رشاد، ومنظومة أخلاق، ودستور حياة، لنعمل به ونطبق ما فيه ونصبح كما كان عصر الصحابة رضوان الله عليهم مصاحف تدب على الأرض.

## أولاً: القرآن الكريم معجزة خالدة ودستور حياة:

أيد الله سبحانه وتعالى الأنبياء بمعجزات تدل على صدق دعواهم، وتؤكد نبوتهم وأنهم مرسلون من الله سبحانه وتعالى، ومؤيدون بأدلة قاطعة لا تدع مجالاً للشك بأن رسالتهم صادقة وأدلتهم قاطعة، وأنهم بعثوا برسالة لينقذوا البشرية من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن جهالة الشرك إلى حقيقة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وقد قَدَّرَ اللهُ سبحانه وتعالى أن تكون معجزة نبينا الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- معجزة خالدة دائمة ما دامت السماوات والأرض بخلاف معجزات الأنبياء السابقين الذين انتهت معجزتهم بموتهم وانتهاء زمانهم وفناء أقوامهم، ليكون القرآن الكريم بأثره الطيب وحجته البالغة ودليبه القطعي نوراً للهداية وطريقاً للسلامة تدرکه جميع الأجيال باختلاف الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: 9).

ولما كان القرآن الكريم كتاب الله المحكم ومعجزته الخالدة ناسب أن يكون بهذه القوة وهذا التأثير؛ ليكون نبراساً ونوراً على مدى الزمان، فالقرآن الكريم ومن بداية آياته نرى فيه قوة الطرح وجمال الأثر، فلا يوجد في ثناياه شيء من الاحتمالات أو التوقعات بل كله صدق ويقين، ولم يُسجل في تاريخ البشرية أن حقيقة علمية أو اكتشاف بشري أو ظاهرة طبيعية كانت حقيقية ثابتة وعارضت شيئاً من آيات الله في كتابه، بل إن العلم كلما زاد تطوره وتوسعت مداركه أصبح يؤكد حقائق علمية ومكتشفات متطورة ذكرت في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً.

لأجل ذلك نرى أن كل سورة من القرآن الكريم بل وربما كل آية فيها منهاج حياة ودستور نجاه، وحقائق ثابتة، وقواعد راسخة، وأسلوب تربوي، وتوجيه أخلاقي، وأسلوب قصصي، وحوار بناء، وطريقة إقناع، وعقيدة سليمة، وفقه متوازن، وحنيفية سمحة، وإبداع في رصف آياته وترتيب كلماته، ودقة في اللفظ، ودلالة في المعنى وتناسب في السياق، وراحة عند سماعه، وتوفيق عند فهمه، ورفعة وعلو منزلة لمن أكرمه الله ووفقه فحفظ كتابه الكريم وكان من أهله.

## ثانياً: أثر القرآن الكريم على مجتمع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم:

كان العرب الذين نزل عليهم القرآن الكريم أهل فصاحة وأصحاب تخصص في اللغة، لذلك نزل القرآن الكريم بهذا الجمال وتلك الدقة في التعبير والصيغة؛ ليكون له الأثر العظيم والوقع الكبير عند قراءته وسماعه، ليكون ذلك عاملاً مؤثراً في تصحيح بعض المعتقدات الباطلة والعادات الفاسدة التي نشأوا وتربوا عليها، وقد كان لكتاب الله الأثر الواضح على الأقوام الذين نزل فيهم القرآن الكريم منذ الأيام الأولى لنزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد نزل القرآن الكريم على أقوام متناحرة وقبائل متحاربة، تفرقهم أبسط الأمور ويقتتلون لأتفه الأسباب، وبعد نعمة القرآن الذي نزل عليهم أصبحوا كالجسد الواحد بأخوتهم الصادقة وعلاقاتهم الطيبة قال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} (آل عمران: 103). علق على هذه الآية الإمام الطبري فقال: "واذكروا، أيها المؤمنون، نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم، حين كنتم أعداء في شرككم، يقتل بعضكم بعضاً، عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخواناً بعد إذ كنتم أعداء تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه"<sup>1</sup>.

فبنعمة الإسلام أصبحوا يتأثرون بين بعضهم البعض ويحبون لإخوانهم من الخير ما يحبونه لأنفسهم، بل ويقدمون مصالح إخوانهم على أشخاصهم حتى قال الله فيهم: {رُؤْيُوتُ رُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9]. وبنعمة الإسلام أصبح ولائهم لله وطاعتهم لرسوله، يسيرون مع الحق حيثما كان ويقدمونه على أنفسهم وأهلهم ولا يخافون في الله لومة لائم، مصداقاً لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ} (النساء: 135).

وبنعمة القرآن وهدى الإسلام أصبحوا يخوضون المعارك لأجل رفع لواء الإسلام ونصرة لدين الله سبحانه وتعالى، بعد أن كانت العصبية القبلية شعارهم والانتقام لأشخاصهم والدفاع عن أهوائهم جل أهدافهم، نزل فيهم القرآن الكريم ليصح ولائهم ويوجه اعتقادهم إلى الطريق الصحيح،

1- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الأملي، أبو جعفر الطبري (310هـ). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد

محمد شاکر ( مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ) ص(77/7).

ليصبح هدفهم الأوحد وطريقهم السليم نصره شرع الله والسير على رضاه والجهاد لرفع راية التوحيد، سيراً خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِمَعْنَمٍ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَنْ قَاتَلَ لِيَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>1</sup>.

وبنور الإسلام ونزول القرآن أنصفت المرأة وأصبح لها مكانة وأهمية بعد أن كان العرب يخلون من اسمها ويختبئون حياءً -من لسان الناس- عند ولادتها، كما قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (النحل: 58-59).

وكما قال الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ، رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُدْخِلَهُنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِنَا"<sup>2</sup>.

فبزغ فجر الإسلام ونزل على العرب القرآن ووضعت الأمور في نصابها الصحيح فأكرم الله سبحانه وتعالى المرأة إكراماً لم يكن لها قبل الإسلام، وجعل لها حقوقاً ما سجلت في كتاب ولا عرفت في دستور قبل القرآن، فجعل الله تعالى للمرأة حق التملك والبيع والشراء والميراث والإيجاب والقبول عند الزواج والعمل الذي يحفظ كرامتها والكثير الكثير من الحقوق التي ذكرت في كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} (النساء: 7).

---

1- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. الطبعة الأولى. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (دار طوق النجاة، 1422 هـ) كتاب الجهاد والسير. باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. ص(4/20).

ومسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت) كتاب الإمارة. باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ص(512/3).

2- البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر. كتاب اللباس. باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس والبسط. ص(152/7).

وقال تعالى: { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلِيَهُنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة/228).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أَيُّ وَلَهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ مَا لِلرِّجَالِ عَلِيَهُنَّ، فَلْيُؤَدِّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ، مَا يَجِبُ عَلَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ<sup>1</sup> عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ فِي خُطْبَتِهِ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ (فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)"<sup>2</sup>.

وما أجمل القرآن عندما بنى الفكر ورتب الأولويات وارتقى بالإنسان إلى العلياء فبعد أن كان جلّ همه جمع المال والعناية بما يملك من الحيوانات والدواب، وحياسة الملك والسطوة على الخلق بكل قوة تصلها يده، أصبح المسلم يحلم برضى الله سبحانه وتعالى ويسعى للجنان وكل همه {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} (طه 84)، مع الموازنة التامة بين نصيبه من الدنيا وهمة الأكبر بالنجاح والانتقاء عند الله عز وجل في الآخرة قال تعالى {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (القصص: 77).

وما أجملها من حياة عندما يذكر لنا القرآن الكريم أن حياة المسلم كلها عبادة وطاعة ورضى لله سبحانه وتعالى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } (الأنعام 162-163). فعمله بالنهار الذي يبتغي به الرزق الحلال والنفقة على الأهل والعيال عباده، وليله الذي يحييه بالقيام وينوي به النوم ليقوى على الطاعة والعبادة له به أجر وثواب، هذا كله بعد أن لم يكن لحياته معنى ولا لأيامه قيمة تذكر.

1- مسلم/ المسند الصحيح المختصر كتاب الحج. باب حجة النبي صلى الله عليه وسلمص(2/886).

2- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: محمد

حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ). الطبعة: الأولى ص(1/459).

وبعد أن كان التفضيل بينهم يُبنى على اللون والجنس، والانتماء والقبيلة، أصبحت أخوة الإسلام تسود وتقوى الله ترفع، ولا فضل لأحد على أحد بالمال أو النسب أو الجاه بل الميزان ما حدده رب العزة جلّ في علاه حيث قال في كتابه الكريم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات: 13).

فلا عجب بعد هذا كله أن نرى كيف تغير المجتمع القرشي الذي نزل فيه القرآن الكريم، وكيف تبدلت أحوالهم واختلفت أفكارهم وكان لكتاب الله بينهم أثراً طيباً وتغييراً جذرياً نحو الخير والصلاح، وليس من الممكن أن نرى لكتاب الله أثراً على حامله إلا إن كان همه أن يتمثل كل مافيه ويطبق أحكامه ويتخلق بأخلاقه ويتأدب بأدابه، فلا يكفي ترداد الآيات دون فهم المعنى، ولا حفظ السور دون إدراك المقصود، ولا تقليب الصفحات دون فهم أو وعي، ولا أن نعدّ على أنفسنا أجزاء من القرآن الكريم حفظناها لكننا لم نفهم منها شيء ولم نطبق على أنفسنا ومجتمعنا منها ما لأجله أنزلت ولسببه شرعت، فقد ورد عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم -رغم نكائهم وسرعة بديهتهم وتفوقهم في الحفظ- أنهم كانوا يعكفون عدداً من السنين لحفظ بعض السور من القرآن الكريم كما ورد عن ابن عمر -رضي الله عنه- أنه: "مَكَثَ عَلَىٰ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثَمَانِي سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا"<sup>1</sup>. قال الزرقاني - رحمه الله - : " ليس ذلك لبطء حفظه - معاذ الله - بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كراهة الإسراع في حفظ القرآن دون التفقه فيه، ولعل ابن عمر خلط مع ذلك من العلم أبواباً غيرها، وإنما ذلك مخافة أن يتأوله على غير تأويله."<sup>2</sup>.

وهذه الطريق كانت منهاج الصحابة في حفظ القرآن الكريم، فلم يكن السباق بينهم في عدد الصفحات ولا كثرة الأجزاء، بل كان الواحد منهم لا يتجاوز الآية من كتاب الله حتى يفهم معناها ويطبق أحكامها ويتخلق بأخلاقها ويتأمل بما فيها، ويحفظها بقلبه وجوارحه ويفديها بدمه وماله، ويعلمها لإخوانه وأهله، حتى استحق كل واحد من الصحابة أن يكون بأخلاقه وعمله مصحفاً

1- مالك، ابن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (179هـ). موطأ الإمام مالك. خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد

فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985 م) ص(1/205).

2- ابن عبد الباقي، محمد بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ( مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003 م ) الطبعة: الأولى. ص(2/22)

يدب على الأرض، وقد صحَّ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَرَّاورَةٌ - فتيناأ أشداء أقوياأ-، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا<sup>1</sup>.

### ثالثاً: أثر سماع القرآن الكريم على كفار قريش:

نزل القرآن الكريم بلغته القوية وفصاحته البالغة وتأثيره الواضح على قوم أصحاب تذوق للغة وفهم للمعاني وإدراك للألفاظ، فكان القرآن الكريم بدقة متناهية ما عرف العرب لها مثيلاً ولا سمعوا لها شبيهاً، رغم أن لغتهم كما قال ابن كثير في تفسيره: " أَفْصَحُ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْسَعُهَا، وَأَكْثَرُهَا تَأْذِيَةً لِلْمَعَانِي الَّتِي تَقُومُ بِالنُّفُوسِ"<sup>2</sup>، إلا أن لغة القرآن الكريم أتت مبهرة لأذانهم محيرة لعقولهم، مما أدى بهم للقطع والجزم بأن هذا الكلام خارج عن القدرة الإنسانية والتأليف البشري الذي اعتادوا صياغته وتدوينه، فكان للقرآن الكريم وقع كبير وتأثير عظيم عليهم ومنذ اللحظة الأولى لسماعه، لينقسموا بعد سماعه إلى قسمين:

قسم آمن به وأذعن للحق واتبع سبيل الرشاد؛ لعلمه اليقيني بأن هذا الكلام حقٌّ نَزَلَ من عند الله لا يستطيع الإنس ولا الجن صياغة مثله ولا كتابة شبيهه، كما قال تعالى: { قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } (الإسراء 88).

وقسم آخر أصر على العناد وجاهر بالكفر وأبى أن يعترف بالحق الذي نزل عليه من عند الله سبحانه وتعالى رغم يقينه القطعي وجزمه الأبدي وعلمه الأزلي الذي لا يعتريه شك أن هذا القرآن كلام الله المعجز وحكمته البالغ لكن عصبيته الجاهلية تأبى، وهوى النفس يطغى، وحظ الشيطان عنده مقدم على اتباع الحق الذي جاء به القرآن الكريم.

وهذا القسم الثاني أخطر ما يكون، فهم الذين يَصْدُقُ عليهم قول رب العزة جل في علاه: { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَمُهْدَىٰ وَأَكْثَرُهُمْ فَتْرِينَ } (الأنعام 110).

1- صحيح.ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (273هـ). سنن ابن ماجه.تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.

دار الرسالة العالمية، 2009 م) في مقدمة الكتاب باب في الإيمان. ص(42/1).

2- ابن كثير. تفسير القرآن العظيم.ص(365/4).

يُهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفْلاً تَذَكَّرُونَ} (الجاثية 23)، فرغم تأثرهم بالقرآن الكريم ويقينهم القطعي بأنه كلام الله، إلا أن عنادهم بالكفر طغى على دخولهم في دين الإسلام، فأخذوا يتسللون لسماعه محاولين ألا يشعر بهم أحد فيتأثر أو يرق قلبه فيعلن إسلامه، ومن أطرف ما روي في ذلك ما أورده ابن إسحاق في سيرته، قال: " أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن الشريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه، وكلا لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يسمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودون لو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثلما قالوا أولمرة، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا

1

هذه الرواية لوحدها كفيلاً للدلالة على عناد الكفار رغم يقينهم الداخلي وعلمهم القطعي أن كل حرف من كتاب الله وحي وكل كلمة منه صدق وأنه {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (هود 1)، وأنه كتاب {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت 42).

وكتب السير مليئةً بالقصص والمواقف والآثار التي نُقلت لنا عن كفار قريش ومدى تأثرهم بالقرآن الكريم، فقد تذوقوا حلاوته دون أن يؤمنوا واستشعروا بجماله ولم يسلموا، وسمعوا دقة ألفاظه وحسن نظمه ودلالة عباراته وتوافق ذلك مع عمق لغتهم وفصاحة عقولهم لكنهم ماتوا على الكفر عناداً واستكباراً، فالقرآن الكريم كما قال القاضي عياض: كتاب "أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَفُصِّلَتْ كَلِمَاتُهُ وَبَهَّرَتْ بَلَاغَتُهُ الْعُقُولَ وَظَهَّرَتْ فَصَاحَتُهُ عَلَى كُلِّ مَقُولٍ وَتَطَافَرَ إِيجَاؤُهُ وَإِعْجَاؤُهُ وَتَطَاهَرَتْ حَقِيقَتُهُ وَمَجَاؤُهُ وَتَبَارَتْ فِي الْحُسْنِ مَطَالِعُهُ وَمَقَاطِعُهُ وَحَوَتْ كُلَّ الْبَيَانِ جَوَامِعُهُ وَبَدَائِعُهُ وَاعْتَدَلَ مَعَ إِيجَاؤِهِ حُسْنُ نَظْمِهِ وَأَنْطَبَقَ عَلَى كَثْرَةِ فَوَائِدِهِ مُخْتَارٌ لَفْظِهِ وَهُمْ أَفْسَحُ مَا كَانُوا فِي هَذَا الْبَابِ مَجَالًا وَأَشْهَرُ فِي الْخَطَابَةِ رِجَالًا وَأَكْثَرُ فِي السَّجْعِ وَالشَّعْرِ سَجَالًا وَأَوْسَعُ فِي الْغَرِيبِ وَاللُّغَةِ

1- ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي المدني (151هـ). سيرة ابن إسحاق. تحقيق: سهيل زكار (دار الفكر، بيروت، 1978م) الطبعة: الأولى. ص(189).

مَقَالًا بَلَّغْتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَحَاوَرُونَ وَمَنَازِعِهِمُ الَّتِي عَنْهَا يَتَنَاضِلُونَ صَارِحًا بِهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ وَمَقَرَّعًا لَهُمْ بَعْضًا وَعِشْرِينَ عَامًا عَلَى رُؤْسِ الْمَلَأِ أَجْمَعِينَ ﴿ أَمْ يَهْتَلُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ (يونس 38) "1.

والمواقف التي نُقلت لنا في هذا الشأن كثيرة، فقد ورد أن أعرابياً سمع قول الله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (الحجر: 94) فخر ساجداً، وقال: سجدت لفصاحته، وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (يوسف: 80) فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام<sup>2</sup>.

وقد ورد عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- وكان من أكابر قريش قبل إسلامه أنه قال: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ \* أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ \* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴾ [الطور: 35 - 37]، كاد قلبي أن يطير"<sup>3</sup>.

ومهما عاند كفار قريش وحاولوا إنكار تأثرهم بالقرآن الكريم إلا أن جوارهم تشهد عليهم وملامح وجوههم تكذبهم وتظهر تأثر قلوبهم بكلام الله سبحانه وتعالى، فهذا عتبة بن ربيعة يذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ليعرض عليه إغراءات قريش عليه يتوقف عن الدعوة ويترك دينه، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم - يسمع بأذان صاغية واهتمام بالغ، فما توقف قال له: "أَقْدَ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ { (فصلت 1-5) ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَقْرؤها عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُنْتُهُ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ

1 - القاضي عياض، أبو الفضلابن موسى اليحصبي (544هـ). الشفا بتعريف حقوق المصطفى. (دار الفكر، 1988م) ص(1/260).

2 - انظر: المرجع السابق ص(1/262).

3 - البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. كتاب تفسير القرآن. باب قوله: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب} (ق: 39) ص(6/140).

ظَهَرِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَلِكَ.

فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَأَيْتِي أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ، وَلَا بِالسِّخْرِ، وَلَا بِالْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتزلوه، فوالله لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تُصِبُهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمَلِكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ!<sup>1</sup>.

هكذا عبر عتبة على ما سمع من كلام الله تعالى على لسان رسول الكريم صلى الله عليه وسلم - فهم يعلمون بقرارة أنفسهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم - وحقيقة أن القرآن الكريم كلام الله ومهما شتوا عليه الحروب وحاولوا جاهدين محاربة كتاب الله والصد عنه إلا أن الله يقول فيهم: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (التوبة 32).

وموقف الوليد بن مغيرة لم يكن بعيداً عما قاله عتبة بن الربيعة فعندما سمع الوليد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ القرآن "فَكَأَنَّ رَقًّا لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَذَكَرَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا إِلَى أَنْ قَالَ الْوَلِيدُ: وَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشَّعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجْرِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِالشَّعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ: حِلَاوَةٌ وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُنْمِرٌ أَعْلَاهُ مُعْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يَعْلَى، وَإِنَّهُ لَيُحَطِّمُ مَا تَحْتَهُ"<sup>2</sup>.

ولم يقف الأمر على مجرد السماع والتأثر بل كان القرآن الكريم سبباً لإسلام عدد من كفار وصناديد قريش فأسيد بن حضير وسعد بن معاذ<sup>3</sup> أسلموا عندما سمعوا آيات القرآن الكريم تتلى

1- ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (213هـ). السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. (مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، 1955 م) الطبعة: الثانية ص(294/1).

2- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني (458هـ). شعب الإيمان. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد وآخرون. (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 2003 م) ص(287/1).

3- انظر: ابن هشام. سيرة ابن هشام ص(436/1).

وترتل والطفيل بن عمرو الدوسي أيضا أسلم عندما سمع القرآن الكريم رغم التحذيرات المتكررة والتهديدات المتتالية من قبل كفار قريش لعدم سماع شيئا من القرآن الكريم إلا أن الله سبحانه وتعالى شرح صدره للإسلامقال الطفيل: "فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه، حتى خشوت في أدني حين عدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شيء من قوله... فأبى الله إلا أن أسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاما حسنا. قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، فمكنت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا... فأعرض علي أمرك. قال: فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، وتلا علي القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق"<sup>1</sup>.

إن هذه المواقف وهذا التأثير ليس غريبا على بشر ضعيف خلق من التراب فتأثر بعظيم كلام الله في كتابه، كيف لا وقد قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]. قال ابن عاشور في تعقيبه على هذه الآية: "لو كان المخاطب بالقرآن جبلا، وكان الجبل يفهم الخطاب لتأثر بخطاب القرآن تأثرا ناشئا من خشية لله خشية تؤثرها فيه معاني القرآن، لو كان الجبل في موضع هؤلاء الذين نسوا الله وأعرضوا عن فهم القرآن ولم يتعظوا بمواعظه لاتعظ الجبل وتتصدع صخره وتربته من شدة تأثره بخشية الله، وصرب التصدع مثلا لشدة الانفعال والتأثر لأن منتهى تأثر الأجسام الصلبة أن تنشق وتتصدع إذ لا يحصل ذلك لها بسهولة"<sup>2</sup>.

1- المرجع السابقص(383/1).

2- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (1393هـ). التحرير والتنوير. (الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ)ص(28/116).

## رابعاً: أثر القرآن الكريم على أخلاق حامله:

القرآن الكريم ينعكس أثره على كل من حوله بشكل ملحوظ، وهذا الأثر يظهر على من تعلم القرآن وعلمه، وعلى من قرأ القرآن الكريم وحفظه وتدبر معانيه، وعلى من عمل بما فيه وطبق أحكامه وتخلّق بأخلاقه، وما أجمل هذا الأثر الذي يتركه القرآن الكريم على صاحبه فعن أبي موسى الأشعري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَنْجَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)<sup>1</sup>. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: "مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَقَدْ حَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا، لَقَدْ أُدْرِجَتِ النَّبُوءَةُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ، فَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَّ مَعَ مَنْ يَجِدُّ، وَلَا يَجْهَلُ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِي جَوْفِهِ"<sup>2</sup>.

وحامل القرآن الكريم يُعرف بحسن عبادته وإخلاص طاعته لله سبحانه وتعالى، فهو ما أقدم على حفظه ولا تفرغ لفهمه ولا اجتهد لتطبيقه إلا طاعة وامتثالاً لأمر مولاه جلّ في علاه؛ لأجل ذلك أحيأ به ليله وأمضى به وقته واستثمر به حياته وأفنى فيه شبابه؛ طلباً لما عند الله وطمعاً برضاه وسباقاً وشوقاً لأن يُخلد في الجنان برفقة النبي العنان -صلى الله عليه وسلم-، متمثلاً بذلك قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مُفطرون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبتواضعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكاؤه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون"<sup>3</sup>.

1- البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر. كتاب الأُطعمة. باب ذكر الطعامص(77/7).

ومسلم/ المسند الصحيح المختصر. كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب فضيلة حافظ القرآنص(549/1).

2- الأَجْرِيُّ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي (360هـ). أخلاق أهل القرآن. تحقيق: الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف ( دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 م)ص(55/1).

3- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (676هـ). التبيان في آداب حملة القرآن. تحقيق: محمد الحجار (دار ابن حزم، بيروت، 1994م) الطبعة: الثالثة. ص(54).

وبما أن حامل القرآن باحثاً عن رضا الله طالباً لثوابه فهو لا يلتفت في الدنيا لسمعة بين الناس ولا شهرة بين الخلق، ولا يتاجر بالقرآن الكريم باحثاً عن مدح أو منصب، أو مال أو جاه؛ بل "يجب عليه أن يخلص في قراءته ويريد بها وجه الله تعالى دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمداً عند الناس، أو محبة، أو مدح، أو نحو ذلك، وأن لا يقصد بها توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة، وأن لا يتخذ القرآن معيشة يتكسب بها، فلو كان له شيء يأخذه على ذلك فلا يأخذه بنية الأجرة، بل بنية الإعانة على ما هو بصده، وأن يراعي الأدب مع القرآن، فيستحضر في ذهنه أنه يناجي ربه ويقراً كتابه، فيتلوه على حالة من يرى الله تعالى، فإن لم يكن يراه، فإن الله سبحانه وتعالى يراه، وذلك بأن يقدر كأنه واقف بين يدي الله تعالى، وهو ناظر إليه ومستمع منه"<sup>1</sup>.

فأهل القرآن أخلاقهم تدلّ عليهم، فهم يطئون الأرض باتزان ويسيروا بين الخلق باحترام، سمّتهم طيب وأخلاقهم راقية، أصحاب ابتسامة هادئة دائمة، وحلم طويل وصبر عظيم، يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس ولا يجعلون للغضب عليهم سبيلاً، يتمتعون بسكينة ملازمة ووقار من غير علو وتواضع من غير كبر، قلبهم طاهر وسريرة نقية لا تعرف الغل ولا الحقد، ولا تنطق بالغبية ولا النميمة، ولا مكان عندهم للحسد أو الرياء، ولا يستهزئون بأحد ولا يتنازرون بالألقاب ولا يحتقرون الخلق، يسعون بين الناس بالإصلاح وينشرون الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كلامهم كلّه أدب وصمتهم تفكير، فلا يرفعون أصواتهم بالصراخ ولا يعبرون عن مشاعرهم بالصخب بل صوتهم هادئ مسموع، يتجنبون الشتائم وسوء الألفاظ وينتقوناً طيب الكلام وأجمل العبارات، يحفظون جوارهم عن أذية الخلق، ويسلم الناس من لسانهم، ويخلو تفكيرهم من سوء الظن، ويتعدون كل البعد عن الظلم بجميع أشكاله وإن ظلموا سامحوا وغفروا واحتسبوا الأجر عند الله، متمثلين بهذه الأخلاق خلق نبينا الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي

---

1- الضباع، نور الدين علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم بن عبد الله المصري (1380هـ). فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن. ص (1).

وُصِفَ بأجمل وصف على لسان أمّنا عائشة -رضي الله عنها- عندما قالت: "كان خلقه القرآن"<sup>1</sup>.

قال القاضي عياض "أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن فإن كل ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلّى عنه، فكان القرآن بيان خلقه"<sup>2</sup>.

---

1- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون (مؤسسة الرسالة، 2001 م) الطبعة: الأولى. ص(149/41).

2- زين العابدين، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن الحدادي ثم المناوي القاهري (1031هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير. (المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356هـ) الطبعة: الأولى. ص(170/5).

## خاتمة:

- أثر القرآن الكريم ممتد من اللحظة الأولى لنزوله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.
- القرآن الكريم نزل بلغة قومه لكنه أعجزهم بفصاحته وقوة حجته ودلالة ألفاظه.
- ظهر أثر القرآن الكريم في المجتمع الذي نزل فيه، فقد صحح سلوكيات خاطئة، وعادات سيئة، ومعتقدات باطلة.
- غير القرآن الكريم المجتمع الذي نزل فيه تغييراً جذرياً، فبعد أن كانوا أقوام متناحرة وقبائل متحاربة، أصبحوا كالجسد الواحد بأخوتهم الصادقة وعلاقاتهم الطيبة.
- بنى القرآن الكريم الفكر السليم والعقل القويم ورتب للإنسان شؤونه الشخصية واهتماماته البشرية، فبعد أن كان جلّ همهم جمع المال وحياسة الملك والسطوة على الخلق، أصبح يحلم برضى الله سبحانه وتعالى ويسعى للجنان، مع الموازنة التامة بين نصيبه من الدنيا وهمة الأكبر بالنجاح والانتقاء في الآخرة.
- كفار قريش وبعد سماعهم القرآن انقسموا قسمين: قسم آمن به وأذعن للحق واتبع سبيل الرشاد، وقسم أصر على الكفر والعناد رغم يقينه القطعي أن هذا القرآن كلام الله تعالى.
- ظهر تأثر قسم كبير من كفار قريش بالقرآن الكريم وقناعتهم بصدق ما جاء به، لكن عصبيتهم الجاهلية وحظ الشيطان كان مقدم عندهم على اعتناق الإسلام واتباع الحق الذي جاء به القرآن.
- القرآن الكريم يظهر أثر على من أخذه بصدق وطبقه بحق وتخلق بأخلاقه وعمل بما جاء به.
- أهل القرآن أخلاقهم تدل عليهم، فهم يعرفون بسمتهم وهدوئهم وطيب كلامهم وحسن معشرهم، حتى سيرهم على الأرض فيه اتزان ووقار.